مسألة الخروج عن القياس في الأمثال العربية وعدم التغيير فيها

محمد علي محمدي

رقم أوركيد: 1395-9832-0001-0000

محاضر في كلية الإلهيات لجامعة مصطفى كمال، هاتاي/تركيا

elmuhammedi@mku.edu.tr

معلومات المقالة

الوصول:15.02.2022 التصحيح: 27.05.2022 القبول:13.06.2022

الورقة البحثية

استشهد باسم: محمدي، م. (2022). مسألة الخروج عن القياس في الأمثال العربية وعدم التغيير فيها. أنطاكيات، 5(1)،147-157

الملخّص:

إنّ المثل من أهمّ ما في تراث اللغة العربيّة، لربط ماضي الشعب العربيّ إلى حاضره، فالمثل أيضاً مقياسٌ أدَقُّ لفهم العرب، وأخلاقهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وبنيتهم الاجتماعيّة. وتعارُف الإنسانِ بالأمثال يسير إلى القِدَم، ولذلك من الصعب تأريخ ظهور الأمثال تمامًا، ومع ذلك تقف أمامنا مسألتان عن الأمثال لم يهتمّ العلماء القدامى بهما كثيراً، إحداهما أنّ بعض الأمثال كانت تخالف القواعد اللغوية، إذ العرب كانوا يحرصون على التوفير له ضروباً من الحِلى اللفظيّة، حتى يكون أوقع في النفس وأخفّ على السمع، فلذلك كانوا يحتاجون أحياناً إلى الخروج عن القياس، بيد أنّ بعض العلماء لم يتّفقوا على هذا الرأي، وكانوا يدافعون أنّ اتّباع العرب فيما تكلّمت به على الجِبِلّة والسَليقة أفضل من الانقياد إلى القياس، استشهاداً بالأمثال التي خالفت القياس على المفردات الغريبة والتعبيرات، مع تأويلها وتقديرها إلى الجمل التي تناسب القياس. وأمّا ظاهرة عدم التغيير في المثل فقال العلماء إنّ التغيير في المثل ليس جائزاً أبداً، ولكن من الممكن أن نغيّر فيه أحياناً، إن سمح لنا فنّه الأدبيّ وعناصره البلاغيّة، فلذلك جاز بالنسبة لنا انقسام المثل إلى القسمين، إمّا أن يمكنه قبول التدخّل، وإمّا أن يكون التدخّل غير ممكن أبداً. وفي مقالتنا هذه حاولنا -مع أن نسرد موضوعات أخرى من نشأة الأمثال، وأسلوبها، وأهمّيتها في المجتمع العربي- البحث عن هذين الموضوعين الذَين لم نَرَهُما في الكتب قديمةً وحديثةً، التي هي المتعلّقة بالأمثال، سوى الكتاب لأبي هلال العسكري.

الكلمات المفتاحيّة: المثل، نشأة المثل، أسلوب المثل، فنون المثل، مخالفة المثل إلى القياس، عدم التغيير في المثل.

المقدّمة

إنّ المثل مِن أهمّ ما في تراث العرب من أساليب اللغة العربية، لأنّه يربط ماضي الشعب العربيّ لحاضره، فكلّ مثل مستودع صُبّت فيه ذكريات العرب وقَصصهم عن أجدادهم القُدامى، وهو كذلك مرآة صادقة لحضارة الشعب العربيّ، وعاداته وتقاليده، ولذلك أدرك العلماء الأقدمون أهمّيّة الأمثال، فأقبلوا عليها لجمعها وتصنيفها.

فأهمّيّة المثل كبيرة جدّاً من جهات كثيرة، وخصوصًا إن كنّا سنتقصّاه من جهة البلاغة فالأمر سيكون أوضح لنا، فلذلك يجب لنا في البداية أن نسمع في هذا الموضوع قول عبد القاهر الجرجانيّ، لأنّه مِن أئمّة اللغة، مع وضعه أُسُسَ البلاغة، وهو يقول هكذا: «واعلم أنّ ممّا اتّفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صوَرها الأصليّة إلى صورته، كساها أُبّهةً، وكسبها مَنقبةً، ورفَع مِن أقدارها، وشبَّ مِن نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكَلَفاً، وقَسَرَ الطِباعَ على أن تُعطيها محبّةً وشغفاً. فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخمَ، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعِطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفَرح، وأغلب على الممتَدح، وأوجب شفاعةً للمادح... وإن كان ذمّاً كان مسّهُ أوجع، ومِيسَمُه ألذَع، ووقعُه أشدَّ، وحدّهُ أحدّ. وإن كان حِجاجاً كان برهانه أنورَ، وسلطانه أقهرَ، وبيانه أبهر. وإن كان افتخاراً كان شأوُه أبعدَ، وشرفه أجدّ، ولسانه ألدّ. وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقربَ، وللقلوب أخلب... وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر...» (يعقوب، صفحة 66/1)

ومن ناحية الحضارة، فالمثل مقياسٌ أدَقُّ لفهم العرب، وأخلاقهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وبنيتهم الاجتماعيّة، لأنّ باحثاً يريد معلومات عن هذه العناصر التي تقدّم ذكِرها في السطر الأوّل، ضروريّ له مراجعة هذه الأمثال، وللمثل أيضاً وظيفةٌ تربويّة، لِمَا تحتوي عليه مِن حِكَم تعتمد على تجربة الإنسان، وعند المثل عِظةٌ وإرشاد الناس إلى سبيل الرشاد، ومن سِمته البارزة الاحتواء على وَصَفات وُضعت للمحافظة على سلامة الناس، والمجتمع العربيّ، وربّ مثلٍ أفضل من مئة محاضرة تُقدَّم في الأخلاق الحميدة والتوعيّة الاجتماعيّة، وألفِ كتاب في تربية الإنسان، وتعليمه.

ومن أهمّيّته أيضاً أنّه يربط ماضي الشعب بحاضره، لأنّ المثل جزء من التراث والتاريخ، وهو أيضاً يربط الشعب بعضه ببعض، لكونها مكان الجمع لأفراده كلّهم، الذي يساعد على توحيد مفاهيمهم وأهدافهم، والأمثال عند بعضهم قوانين ودساتير لا تُخطئ، يراجعون إليها لدعم حججهم، عند المناقشة مع غيرهم، ولذلك من الطبيعيّ أن يهتمّ بها العرب، وأن يتقصّوْها من جهات كثيرة، فألّفُوا في هذا المجال كثيراً من الكتب، قاصدين إلى الأمثال إمّا لجمعها، وإمّا لتصنيفها، وإمّا لغيرهما من الشرح، والمقارنة، والنقد (يعقوب، 1415 ، صفحة 69/1).

ومع ذلك تقف أمامنا مسألتان عن الأمثال لم يهتمّ العلماء القدامى بهما كثيراً، إحداهما أنّ بعض الأمثال كانت تخالف القواعد اللغوية، لأنّ العرب كانوا يحرصون على التوفير له ضروباً من الحِلى اللفظيّة، حتى يكون أوقع في النفس وأخفّ على السمع، فلذلك كانوا يحتاجون أحياناً إلى الخروج عن القياس، ولكن بعض العلماء لم يتّفقوا على هذا الرأي، وكانوا يدافعون أنّ اتّباع العرب فيما تكلّمت به على الحِيلّة والسَليقة أفضل من الانقياد إلى القياس، استشهاداً بالأمثال التي خالفت القياس على المفردات الغريبة والتعبيرات، مع تأويلها وتقديرها إلى الجمل التي تناسب القياس، وأمّا ظاهرة عدم التغيير في المثل فقال العلماء إنّ التغيير في المثل ليس جائزاً أبداً، ولكن من الممكن أن نغيّر فيه أحياناً، إن سمح لنا فنّه الأدبيّ وعناصره البلاغيّة، وجاز بالنسبة إلينا أنّ انقسامه إلى القسمين، إمّا أن يمكنه قبول التدخّل، وإمّا أن يكون التدخّل غير ممكن أبداً. وفي مقالتنا هذه حاولنا -مع أن نسرد موضوعات نشأة الأمثال، وأسلوبها، وأهمّيتها في المجتمع العربي -البحث عن هذين الموضوعين الذين لم نرهما في الكتب قديمةً أو حديثةً التي هي المتعلّقة بالأمثال سوى الكتاب لأبي هلال العسكري

المثل

المثل من جهة اللغة بمعنى الحُجّة والحديث، وجمعه الأمثال، ممّا يدلّ على هذا المعنى قول الله عزّ وجلّ: (ولله المثل الأعلى)، وهو أيضاً بمعنى الصفة، ومنه قوله تعالى: (مثل الجنّة التي وعد المتّقون)، وقال أبو هلال العسكري: «أصل المثل التماثل بين الشيئَين في الكلام، كقولهم: «كما تدين تُدان»، وهو من قولك: «هذا مِثل الشيء ومَثَلُه»، كما تقول: «شِبهُهُ وشَبَهُه» (يعقوب، صفحة 17/1)، وقال عبد المجيد قطامش في تعريف هذا الفنّ: «المثل قول موجز سائر، صائب المعنى، تشبّه به حالة حادثة بحالة سالفة». ويخلُص إميل بديع إلى القول في المثل من خلال هذه التعريفات التي تقدّم ذكرها: «إنّ المثل عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلاً ومضموناً فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخَلَف عن السَلَف دون تغيير، متمثّلين بها، غالباً، في حالات مشابهة لما ضُرب لها المثلُ أصلاً، وإن جُهل هذا الأصل» (يعقوب، صفحة 21/1).

خصائص المثل وفرقه بين الأقوال السائرة

للمثل خصائصُ تَفصله عن العبارات الأخرى من حكمة، ونادرة، وقول العرب، فهي يعني خصائص المثل، الشيوع، وصدق النظرة وصواب المضمون، والمضمون الفكريّ، وأمّا الحكمة فعِمادها إصابة المعنى، ومن المستحيل أن يوجد عندها التشبيه، فمن الممكن أن يطول نسبيّاً، ومع ذلك الهدف فيها التنبيه والإعلام والوعظ، ولم تصدر الحكمة إلا عن أهل العلم من نبيّ أو حكيم أو فيلسوف أو غيرهم، وأمّا قول العرب في الدعاء لإنسان، وعليه، والتحيّة فهو ليس مثلاً، نحو: «بالرفاء والبنين»، و«قدوماً مباركاً»، و«حجّاً مبروراً»، و«أخزاك الله»، و«أهلاً وسهلاً»، و«لبّيك، وسعديك»، و«حسبنا الله»، إذ تلك الأقوال عبارات جارية مجرى المثل لاستحسانها وإيجازها وكثرة دورانها على الألسنة، وهي أيضاً ليست مثلاً، لأنّ لم توجد عندها أيّ علاقة للتشبيه، كما في المكنّى والمبنّى والمثنّى من الأسماء، نحو: أبو الحارث، وأبو جعدة، ابن الأيّام، وابن الأقوال، الجديدان، القمران، الأسودان (قطامش، صفحة 25).

أنواع المثل

من الممكن أنّ المثل ينقسم ثلاثة أقسام، موجزاً، قساسيّاً، خرافيّاً، أوّلها أعني المثل الموجز هو الذي يتبادر إلى الذهن عندما يُطلق كلمة «المثل»، الذي يركض إثره مدوِّن الأمثال العربية مع العناية به، وشرحه، نحو: «السرّ أمانة»، و«العود أحمد»، وثانيها هو المثل القياسيّ الذي لا يكاد يكون في مدوّنات الأمثال القديمة إلا في القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبويّة كثيراً، كما في قول عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه: «مثل الدنيا كمثل الحيّة، ليّن مسّها، والسَمّ الناقع في جوفها، يهوي إليها الغِرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللبّ العاقل» (قطامش، صفحة 30).

وأمّا المثل الخرافيّ فهو أقوال موجزة سائرة أجراها العرب على ألسنة الحيوان، أو بنَوها على قصص خرافيّ اخترعوه، وجعلوه فيها يُتحدّث، مع القصد بذلك التسلية والفكاهة، أو الحثّ على مكارم الأخلاق، وبالإضافة إلى ذلك أنّ العلماء يطلقون عليه أيضاً «أكاذيب العرب»، «رموز العرب»، ومنه المثل المشهور الذي أجرَوه على لسان الضبّ، حين اختصم إليه الأرنب والثعلب في تمرة وجدها الأرنب فاختلسها الثعلب: «في بيته يُؤتى الحكم»، وفي خلاصة حكاية أنّ الفيل والحمار اجتمعا في مرعى ذات يوم، فطرد الفيل الحمار، فقال له الحمار: «لماذا تطردني مع اشتباك الرحم بيني وبينك؟»، فقال الفيل: «من أين هذا الرحم؟»، فقال الحمار: «من أجل أنّ في غُرمولي شَبَهاً من خُرطومك»، فقبل الفيل هذه القرابة، ومن ثمّ شاع قول «كرَحِم الفيل من الحمار» (قطامش، صفحة 33).

نشأة الأمثال

تعارُف الإنسانِ بالأمثال يسير إلى القِدَم، ولذلك من الصعب تأريخ ظهور الأمثال تمامًا، ولكن من الممكن العلمُ بأنّها ظهرت بعد تكوّن المجتمعات البشريّة، فالأمثال ثمرة التجربة الإنسانيّة في المجتمع، بيد أنّها دون النسبة إلى قائلها، ممّا يؤدّي إلى صعوبة تحديد زمن نشأتها، أو زمن مضربِها الأوّل، ومع ذلك نستطيع التمييز بينها، فيما إذا كانت الفترة من الجاهليّة، أم لا، فهناك عدّة معايير لمعرفتها، منها نسبتُها إلى أناس جاهليّين، مِثل لُقمان بن عاد، الذي يُنسب إليه مَثَلُ «رُبّ أخٍ لم تلِده أمّكَ»، و«سدّ ابنُ بيضٍ الطريقَ»، و كأكثَمَ بن صيفيّ الذي يُنسب إليه الكثير من الأمثال، ومنها «إن أردتَ المحاجَزَةَ فقَبلَ المناجَزَةَ»، و«إنّك لا تجني مِن الشوك العِنَب» (يعقوب، صفحة 34/1)، وكذلك تُعرف الأمثال مِن نصّ العلماء على جاهليّتها، أو على نسبتها إلى قبائل جاهليّة، فمِنها إلى قبيلة عاد: «ألحنُ من الجرادتين»، ومنها إلى قبيلة طسم: «شرّ يومَيْها وأغواه لها»، ونعرفها أيضاً من الحوادث التي قيلت فيها، كما في حرب داحس والغبْراء، وحرب البسوس، ويوم حليمة، وحديث جذيمة الأبرش والزبّاء (يعقوب، صفحة 35/1).

وأمّا الأمثال الإسلاميّة فلها ثلاثة أقسام، فأوّل قسم كان سبب ظهوره القرآن الكريم، منها: «أتبُّ مِن أبي لهبٍ» من خلال الآية: (تبّتْ يدا أبي لهبٍ وتبّ)، و«أقربُ مِن حبل الوريد» مصدر هذا المثل آيةُ (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)، و«أشرب من الهيم»: (فشاربون شرب الهيم)، و«أفرغ من فؤاد أمّ موسى»: (وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً)، و«أوهن من بيت العنكبوت»: (وإنّ أوهن البيوت لبيتُ العنكبوت). فقسمٌ أصله الحديث النبويّ الشريف، ويحتوي على الكثير من الأمثال، بحيث ألّفِت الكتبُ عنها، منها: «إنّ مِن البيان لسِحراً، و«حُبّكَ الشيءَ يُعمي ويُصمّ»، و«إذا لم تَستَحي فاصْنَع ما شِئتَ»، فقسم قاله الصحابةُ والتابعون، منها إلى عمر بن الخطّاب قوله: «النِساء لحمٌ على وَضَمٍ»، و«ولٌ حارّها من تولّى قارّها»، و«اليمين حِنثٌ أو مندمةٌ»، ومنها إلى الإمام عليّ قوله: «رأي الشيخ خيرٌ مِن مشهد الغلام»، «أحبِب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضَك».

وأمّا الأمثال المولّدة، فهي تلك التي قيلت بعد عصر الاحتجاج، الذي يمتدّ من الجاهليّة الأولى حتى منتصف القرن الثاني الهجريّ بالنسبة إلى عرب الحاضرة، في حين أنّه إلى نهاية القرن الرابع الهجريّ بالنسبة إلى عرب البادية (يعقوب، صفحة 41/1)، وربّما أوّل مَن تصدّى لتمييز المولّدة من غيرها حمزة الأصفحاني في كتابه «الدرة الفاخرة»، إذ نبّه على توليد بعض الأمثال، كما يُفرد

لها بابًا من كتابه، وجاء بعده أبو هلال العسكريّ، مشيراً إلى توليد المثل في كتابه «جمهرة الأمثال»، وقد اعتنى أيضاً أبو الفضل الميدانيّ وأبو علي الحسن بن مسعود اليوسيّ بالأمثال المولّدة في كتابهما «مجمع الأمثال» و«زهر الأكم».

أسلوب المثل

إنّه استعارة تمثيليّة تحتها تشبيهُ حالةٍ بحالةٍ، ولذلك هذه الاستعارة من أقوى أساليب البيان، وأعلاها في البلاغة، لأنّها تُعبِّر عن المعاني الخَفِيّة والحلات المعنويّة بصور حِسّيَّة (يعقوب، صفحة 47/1)، ويقول مِسكَوَيه (421ه) في هذا الموضوع: «إنّ الأمثال إنّما تُضرب فيما لا تدركه الحواسّ ممّا تدركه، والسبب في ذلك أُنسُنا بالحواسّ، وإلفُنا لها منذ أوّل كونها، ولأنّها مبادئ علومها، ومنها نرتقي إلى غيرها، فإذا أُخبر الإنسان بما لا يدركه، أو حُدّث بما لم يشاهد وكان غريباً عنه، طلب له أمثالاً من الحسّ، فإذا أُعطيَ ذلك أنس به، وسكن إليه لإلفِه له. وقد يعرض في المحسوسات أيضاً هذا العارض، أعني أنّ إنساناً لو حُدّث عن النَعامة والزرافة، والفيل، والتمساح لَطلب أن يصوَّر له، ليقع بصره عليه، ويحصل تحت حسّه البصريّ، ولا يقنَع فيما طريقُه حسُّ البصر بحسّ السمع حتى يردّه إليه بعينه. وهكذا الأمر في الموهوبات، فإنّ إنساناً لو كُلِّف أن يتوهّم حيواناً لم يشاهد لَسئل عن مثله، وكلّف مُخبِرَه أن يصوِّره له، مثل عنقاء مُغرب، فإنّ هذا الحيوان وإن لم يكن له وجودٌ، فلا بدّ لِمُتوَهِّمه أن يتوهّمه بصورة مركّبة من حيوانات قد شاهدها. فأمّا المعقولات، فلمّا كانت صورها ألطفَ مِن أن تقع تحت الحسّ، وأبعدها مِن أن تُمثّل بمثال حسّيّ إلّا على جهة التقريب، صارت أحرى أن تكون غريبة غير مألوفة، والنفس تسكن إلى مَثَلٍ، وإن لم يكن مِثلاً، لتأنس به من وحشة الغربة، فإذا أُلِفتها وقوِيت على تأمّلها بعين عقلها من غير مثال سَهُلَ حينئذٍ عليها تأمّل أمثالها» (يعقوب، صفحة 47/1).

الإيجاز

عند العرب في كلامهم لا يوجد شيء أوجز من المثل، ولمّا كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يلوَّح بها على المعاني تلويحاً، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً، فلذلك للمثل مقدّمات وأسباب قد عُرفت، وصارت مشهورةً بين الناس ومعلومةً عندهم، وهذه الألفاظ الواردة في المثل دلّت عليها معبِّرةً عن المراد بها بأخصر لفظٍ وأوجزه، ولولا تلك المقدّمات المعلومة، والأسباب المعروفة، لَما فُهِمَ مِن هذه الأمثال الوجيزة تلك الوقائعُ المطوَّلات (يعقوب، 1415 ، صفحة 50/1)، فهي لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها من أجلّ الكلام، وأنبَلِه، وأشرفه، وأفضله، بحيث قد بلغ الإيجاز من الأمثال إلى درجة أنّ المثل الواحد لا يتجاوز نصّه الكلمتين الاثنتين، نحو: «تشتهي وتشتكي» (الميداني، صفحة 144/1)، و«تشدّدي تنفرجي» (الميداني، صفحة 124/1)، و«جزاء سنمّار» (الميداني، صفحة 159/1؛ العسكري، صفحة 305/1)، و«جرّبي تقليه» (الميداني، صفحة 162/1)، و«السرّ أمانة» (سلّام، صفحة 57؛ الزمخشري أ.، صفحة 325/1)، و«العود أحمد» (سلّام، صفحة 169)، و«الخلاء بلاء» (العسكري، صفحة 424/1)، أو ثلاث كلمات، نحو: «آخر الدواء الكيّ» (الميداني، صفحة 291/1)، و«من يسمع يَخَلْ» (سلّام، صفحة 290)، و«جاء يجرّ رجليه» (الزمخشري أ.، صفحة 170/1)، و«رأى الكواكبَ ظُهراً» (الميداني، صفحة 45/2)، و«دع القطا يَنَمْ» (الميداني، صفحة 270/1)، ومن عجائبها أنّها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، وبالإضافة إلى ذلك، عندما جئنا إلى أسباب الإيجاز للمثل، فأوّلها ضرورةُ حفظِ المثل بلفظه مع معناه، وثانيها ميلُ الناس عند مُداولة المثل بينهم إلى إسقاط عدد الكلمات منه، حين يمكن ذلك، مع إبقاء المعنى فيه (يعقوب، 1415 ، صفحة 51/1).

إصابة المعنى

لولاها لَماَ استشهد بالأمثال الناس في كلامهم، ولَما لجأ إليها الشعراء والأدباء، ولَما انتشرت بين الناس أشدّ انتشاراً، ومِن سمة المثل هذه، أصبحت الأمثال مصدراً يرجع إليه الناس أكثر مرّة، لدعم حججهم التي قدّموها، عند مناقشة أمورهم.

حسن التشبيه

التشبيه عنصر أساسيّ من عناصر المثل، في التشبيه قولٌ تشبَّه به حالةُ حادثة بحالة سالفة، وهناك أمثال لم تكن أركان التشبيه ظاهرةً فيها، ولكنّها تُضرب بالأشياء المادّيّة، لتصوير الأمور المعنويّة في ذهن البشر، ومنه «فتَل له في الذُروة والغارب» (العسكري، صفحة 98/2)، يُضرب هذا المثل في الرجل الذي يخدع صديقه، وهو مشبَّهاً، أمّا المشبَّه به فهو صاحب البعير الشرِس الذي لا يَنقاد لصاحبه، ولم يتمكّن من الركوب عليه، فلذلك هذا الرجل فتل الأوبارَ في ذروة البعير وغاربه، حتى أنس البعير بذلك، ويهدأ، و«قبل الرماءِ تُملأ الكنائنُ» (الميداني، صفحة 101/2)، يُقصد به الاستعداد للأمر قبل وقته، وهو معنىً عقليّ شُبِّه بحالة حسّيّة، وهي حالة الرجل يستعدّ للرمي قبل أوانه، فيملأ جعبته سهاماً (يعقوب، 1415 ، صفحة 53/1).

الكناية

قد كثرت الكناية في الأمثال لسببَين، أوّلهما أنّ المثل في الأصل كناية، مِن أنّ المتمثَّل به لا يُظهِر المعنى الذي يقصده، ولا يعبِّر عنه بالألفاظ الموضوعة له في اللغة، ويُخفي المعنى الحقيقيّ، ويعبّر عنه بألفاظ أخرى، وثانيهما ممّا إذا كانت غاية المثل النصح، أو النقد، فمن الممكن أنّ أسلوباً غير مباشر هو أنفع وأجدى، مثلاً: «بلغ السكّين العَظمَ» (سلّام، صفحة 344)، يُكنى بهذا المثل عن أنّ الأمر بلغ مِن الصعوبة والشدّة الحدَّ الأخير، و«جاء بالشوك والشجر»، كنايةً عن أنّه جاء بكلّ شيء، و«لا أفعل ذلك حتى يؤوب قارظُ عنزة»، كنايةً عن عدم الفعل شيئاً على الإطلاق (يعقوب، 1415 ، صفحة 54/1).

الاستعارة

المرحوم أحمد الهاشميّ (1362ه) عرّفها قائلاً: «هي استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصليّ. والاستعارة ليست إلّا تشبيها مختصراً؛ لكنّها أبلغ منه» (الهاشمي أ.، صفحة 258)، وهي تظهر كثيرًا في الأمثال، ومنها: «الشمس أرحم بنا» (الميداني، صفحة 373/1)، و«بيتي يبخل لا أنا» (سلّام، صفحة 170)، و«الحرب غشوم» (الهاشمي أ.، صفحة 83/1)، و«الحليم مطيّة الجهول» (المهدي، صفحة 545/1)، و«محا السيفُ ما قال ابن دارةَ أجمعا» (الأندلسي، صفح ة 25).

السجع

من الممكن أنّ العرب كانوا يتّجهون إليه لتسهيل حفظ المثل، ولإعطائه إيقاعاً موسيقيّا، ومنه «أَطرِق كَرَا إنّ النَعام في القُرى» (الميداني، صفحة 431/1)، و«حنَّت ولا تَهَنَّتْ وأنّى لكِ مقروع» (سلّام، صفحة 48)، و«إذا أردتَ المحاجَزَة فقَبلَ المناجَزَة» (العسكري، صفحة 83/1).

المبالغة

المبالغة، وتسمّى أيضاً مغالاةً، لها عدّة أنماط تعبيريّة، وأحد الأنماط يبدأ بصيغة «أفعل مِن»، نحو: «آكل من حوت» (الميداني، صفحة 86/1)، و«أبخل من كلب» (العسكري، صفحة 247/1)، و«أبقى من الدهر» (الميداني، صفحة 118/1)، ولها أيضاً صيغة تبدأ بالجملة «تركتُه»، نحو: «تركته على أنقى من الراحة» (الميداني، صفحة 121/1)، و«تركته جوف حمار» (الميداني، صفحة 135/1)، و«تركته في وحش إصمت» (الميداني، صفحة 124/1)، وكذلك تبدأ بالفعل «جاء»، نحو: «جاء بذات الرعد والصليل» (الزمخشري أ.، صفحة 361/1)، و«جاء بالشَوك والشَجَر» (الزمخشري أ.، صفحة 526/1)، وتبدأ ب«ما له»، نحو: «ما له دقيقة ولا جليلة» (الميداني، صفحة 284/2)، و«ما له ستر ولا عقل» (الميداني، صفحة 286/2).

الطباق

هو الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام، ومنه «ما يعرف قبيلاً من دبير» (العسكري، صفحة 286/2)، و«اختلط الحابل بالنابل» (الأندلسي، صفحة 421)، و«ذهب بين الصَحوة والسَكرة» (الزمخشري أ.، صفحة 412/2)، و«ويل للشجيّ من الخليّ» (العسكري، صفحة 338/2)، و«لا يدري أيُخثِرُ أم يُذيب» (العسكري، صفحة 10/1)، و«من لي بالسانح بعد البارح» (سلّام، صفحة 245)، وما اعتماد الأمثال العربيّة على السجع أحياناً إلّا لهدف الجَرَس والإيقاع الذَين يولّدانِ موسيقى تساعد على حفظ المثل وانتشاره، ويعرف بعضهم نظراً إلى إيقاع الموسيقى في الأمثال ما إذا كان التلفّظ في المثل خطأً أم لا، كما البدويّ البحّاث عن إبله المفقودة في الصحراء، هو يعرف مِن رُغائها أنّ هذه الحيوانات لنفسه بأذنه الدقيق (يعقوب، 1415 ، صفحة 58/1).

الصيغ اللغويّة

أوّلها ما جاء على وزن «أفعل» من الأمثال، يُلجأ إليها للمقارنة المستنِدة إلى المبالغة، نحو: «آكل مِن حوت»، و«أبخل من كلب»، فصيغة الإخباريّ العاديّ تأتي غالباً لإظهار حقيقة مستندة إلى التجربة، أو للتعبير عمّا يراه الشعب، نحو: «الناس إخوان وشتّى في الشِيَم» (الميداني، صفحة 333/2)، و«الناس كأسنان المشط» (الميداني، صفحة 340/2)، و«إنّ البلاء موكّل بالمنطق» (الخوارزمي، صفحة 411)، و«إنّ أخاك من آساك» (الميداني، صفحة 72/1)، و«لا بدّ للمصدور أن ينفُث» (الزمخشري أ.، صفحة 289/2)، فصيغة الأمر والنهي تُستخدم غالباً، عندما يكون المثل للنصح والإرشاد، نحو: «احفظ بيتك ممّن لا تَنشده» (الميداني، صفحة 211/1)، و«احلب حلباً لك شطره» (سلّام، صفحة 201)، و«لا تكن حلواً فتُسترط، ولا مُرًّا فتُعقى» (الأندلسي، صفحة 316)، و«لا تعلّم اليتيم البكاء» (الخوارزمي، صفحة 129)، و«لا تَهرِف بما لا تعرف» (العسكري، صفحة 378/2)، فللدعاء، نحو:«رماه الله بأقحاف رأسه» (الزمخشري أ.، صفحة 102/2)، و«على بدء الخير واليمن» (سلّام، صفحة 69)، و«بالرفاء والبنين» (الميداني،

صفحة 100/1)، فللإستفهام، نحو: «هل يُخفى الناس القمر» (الهاشمي أ.، صفحة 348/1)، فصِيَغٌ أخرى تحتوي على التمنّي، والتعجّب، والشرط، والجمل الاسميّة، والفعليّة، وإلى غيرها، نحو للتمنّي: «ليت لنا من فارسين فارساً» (الميداني، صفحة 198/2)، و«ليت حظّي العشب خوصه» (الميداني، صفحة 185/2)، ونحو للتعجّب: «ما أطول سلى فلان!» (الميداني، صفحة 267/2)، و«ما أرخص الجمل لولا الهرّة!» (الميداني، صفحة 268/2)، ونحو للشرط: «إذا ضربتَ فأوجِع، وإذا زجرتَ فأسمع» (الميداني، صفحة 29/1)، و«إذا عزّ أخوك فهُنْ» (سلّام، صفحة 155)، ونحو للجملة الاسميّة: «عين عرفت فذرفتْ» (الزمخشري أ.، صفحة 173/2)، و«كلّ فتاة بأبيها معجَبة» (سلّام، صفحة 143)، ونحو للفعليّة: جاوز الحزام الطبيين» (العسكري، صفحة 220/1)، و«ذهب منه الأطيبان» (الزمخشري أ.، صفحة 620/1).

تعدّد الرواية

ترجع هذه الظاهرة إلى بضعة أسباب، منها قلّة معرفة العرب بالقراءة والكتابة، فكان اعتمادهم في حفظ آدابهم غالباً على الذاكرة والسمع، ومنها اختلاف اللهجات العربيّة، وكثرة تداول الأمثال مع تصحيفها وتحريفها، ورواية الأمثال بالمعنى، وتقارب المخارج في الحروف، وإلى غيرها، مثلاً «جاء بالشُّقّارة والبُقّارة» يُروى «بالشَقَر والبقر» (الميداني، صفحة 175/1)، و«بالصُقَر والبقر»، وقولهم «الأخذ سُرَّيطٌ والقضاءُ ضُرَّيط» رُويَ بشكل«سُرّيطى وخُرّيطى»، و«سرّيطى وخِرّيطى»، و«سُرَيطاء وخُرَيطاء» (منظور، صفحة 313/7)، و مَثَلُ«دغراً لا صفّاً» رُوِيَ بشكل«دغري ولا صفّى»، و«دغر لا صفٌّ» (يعقوب، 1415 ، صفحة 65/1).

المخالفة للقياس

المثل قد يكون مخالفة للقياس والأصل، أو ملحوناً، نحو: «أعط القوس باريها» (سلّام، صفحة 204)، بتسكين الياء، لوقوع المثل في البداية على ذلك، بينما تقتضي القواعد النحوية حركة الياء مفتوحةً لموقف كلمة «باريها» في الجملة (قطامش، صفحة 205)، والخروج عن القياس له بضعة أسباب: المثل كالشعر يتحمّل الضرورات، ويتسامح فيه ما لا يتسامح في غيره من أنواع الكلام، لأنّه محكوم بوزن معيّن وقافية معيّنة قد يضطرّ الشاعر إلى الخروج عن قياس اللغة والنحو، وأمّا المثل فالعرب كانوا يحرصون على التوفير له ضروباً من الحِلى اللفظيّة كالسجع، حتى يكون أوقع في النفس وأخفّ على السمع، فلذلك كانوا يحتاجون أحياناً إلى الخروج عن القياس، والتضحية بالقواعد النحوية، وكانت فئات من الأمّة كالعامّة والنساء لا تحكم اللغة فكان اللحن واقعاً في المثل، ثمّ يسير بين الناس بلحنه (قطامش، صفحة 208). فالأمثال التي خالفت القياس، منها: «هو هالك في الهوالك»، و«أجناؤها أبناؤها»، و«حنّت ولا تهنّت وأنّى لكِ مقروع»، و«أساء سمعاً فأساء جابةً»، و«اسقِ رقاشِ إنّها سقّاية»، و«استونق الجمل»، و«تسمع بالمُعَيدِيّ خير من أن تراه»، و«أزهى من غراب»، و«أشغل من ذات النِحيين»، و«أشهر من فارس الأبلق»، و«العود أحمد»، و«ألصّ من شِظاظ»، و«أبيض من الثلج» (قطامش، صفحة 214).

غير أنّ بعض العلماء عارض القياس ودافع عن السماع قائلاً: «إنّ ما تكلّمت به العرب على الجِبِلّة والسَليقة أقوى من أن يخضع لقياس النحويّين». وفي هذا السياق نحن نريد أن نذكر قصّة الزنبور التي جرت بين الكسائيّ (189ه) وسيبويه (180ه)، لإثبات أطروحتنا بالحجج، وهو سؤال وجّهه الكسائي لسيبويه قائلاً: «كيف تقول كنتُ أظنّ أنّ العقربَ أشدّ لسعةً من الزنبور فإذا هو هي، أم فإذا هو إيّاها؟»، فقال سيبوي ه: «فإذا هو هيَ، ولا يجوز النصب»، فقال الكسائيّ: «لقد أخطأت، بل الصحيح النصب فنقول: فإذا هو إيّاها». وطال النقاش حيث يروي البعض أنّ سيبويه برع وأجاد في تقديم حججه ودلائله، إلى أن وصلا إلى سؤال الكسائي حيث قال: «كيف تقول خرجتُ فإذا عبد الله القائمَ، أو القائ مُ ؟» فقال سيبويه: «فإذا عبد الله القائمُ، ولا يجوز النصب أيضاً»، فقال الكسائيّ: «العرب ترفع ذلك كله وتنصبه كذلك»، وطال الخلاف بينهما فعرض عليه الكسائيّ أن يتمّ إحضار مجموعة من الأعراب الأقحاح الذين ينطقون باللغة السليمة فطرةً ، فوافق على ذلك، لكن وردت في هذ ا الموضوع الروايات المختلفة التي ذكرت أنّ الكسائي وأصحابه أقنعوا الأعراب بأن ينتصروا له، بيد أنّ العلماء الثقاة يكذّبون هذه الروايات نظراً لاسم الإمام الجليل الكسائي الذي وهب حياته للعلم والدراسة، وبالتالي مستحيل أن يلجأ لمثل هذه الأعمال، لكن الأرجح أنّ في الأمر تدخّل سياسيّ من وراء الكواليس جعل أصحاب القصر يقنعون الأعراب بأن يقفوا بصفّ الكسائيّ، وبالفعل حينما وقفوا أمامهما وسألهم عن صحّة القول، رجحوا كفّة الكسائي، فطلب منهم سيبويه أن يؤكّدوا ذلك وهم ينطقون الجملة، فلم تطاوعهم ألسنتهم على ذلك وتهربوا، وفي ذلك إشارة على أنّ سيبويه محقّ.

النقطة التي نريد لفت الانتباه إليها هنا هي أنّه طلب سيبويه من الأعراب أن ينطقوا جمل الكسائي بشكل سلِس، بيد أنّ لسانهم أبى على تلفّظ هذه الجمل، لأنّ اتّباع العرب فيما تكلّمت به على الجِبِلّة والسَليقة أفضل من الانقياد إلى القياس، فمن المعلوم أنّ هذه الفترة تُعدّ من عصر الاستشهاد بالشعر على المفردات والتعبيرات، حيث استغرق إلى عام مائة وخمسين للهجرة، ويعدّ الشاعر إبراهيم بن هرمة (170ه) آخر مَن يُحتجّ بشعره، ويعدّ بشّار بن برد (168ه) أوّل مَن تُرك الاحتجاج به، ويسمّى أوّل المولّدين، وبذلك تصبح فترة الاحتجاج هي 300 عام فقط، فأمّا سبب قصر الفترة فهو حرص النحاة على عدم اختلاط أيّ لحن باللغة الفصيحة، فحدّدوا هذا التاريخ

وامتنعوا عن الأخذ عمّن كان بعده باستثناء قبائل قليلة ممّن بقوا على عزلتهم عن الأقطار المفتوحة حديثاً، ولم تكن لهم علاقات واسعة بمن هو خارج مناطقهم، وهذا لا يعني أنّ الذين جاءوا بعد تلك الفترة كانوا يخطئون في تكلّم العربية، ولكنّها قيود احترازيّة أخرَجَت بعض الثقات حفظاً للغة القرآن، ومع ذلك العلماء لم يكتفوا بتدوين الشعر العربي فقط عن تدوين الحكمة والمثل، ولكن لدينا بعض المعلومات التي تدلّ على أنّهم كانوا يدوّنون حكمهم وأمثالهم، ونشطت حوالي منتصف القرن الأوّل الهجري حركة التدوين عند العرب، وحظيت الأمثال من هذه الحركة بالأخبار والأنساب والتاريخ (قطامش، صفحة 40)، فتواصلت إلى أوائل القرن الخامس للهجر حيث تنتهي بكتاب مجمع الأمثال للميدانيّ (518ه) ثمّ بكتاب مستقصى الأمثال للزمخشري (538ه).

فعندما أخذنا بعين الاعتبار أن استشهد علماء اللغة على المفردات والغريب بالأمثال، واستشهد النحاة على التركيب والإعراب استشهاداً بالأمثال التي خالفت القياس على المفردات الغريبة والتعبيرات، مع تأويلها وتقديرها إلى الجمل التي تناسب القياس، نحو: «إلّا حظيّة فلا أليّة» على جواز حذف «كان» وخبرها، أو حذفها واسمها، فأمّا الرأي الأوّل فهو على رواية «حظيّةٌ وأليّةٌ» بالرفع، ويكون تقدير الكلام عليها: إن لا تكن له في الناس حظيّة فإنّي غير أليّة، فحذفت «كان» وخبرها، وبقى اسمها، وهو «حظيّة»، وفي الرأي الثاني حذف «كان» واسمها مع بقاء خبرها وحده فعلى رواية «حظيّةً وأليّةً» بالنصب، ويكون تقدير الكلام هكذا: إن لا أكن عنده حظيّةً فلا أكون أليّةً، فحذفت «كان» واسمها المضمر فيها، وبقي خبرها، وهو «حظيّة وأليّة» (سيبويه، صفحة 261/1)، ونحو: «عسى الغُوَيرُ أبؤساً»، كان يجب له على القياس «عسى الغوير أن يكون أبؤساً»، أو «عسى الغوير أن يُحدِث أبؤساً»، فقال سيبويه عن «عسى» إنّها قد حُمِّلت على «كان» فعملت عملها (قطامش، صفحة 215)، ومن ثمّ ما نفهمه فالتضحية بالمثل للقياس تماماً ليس سلوكاً منصفاً، لأنّه ما تكلّمت به العرب على ألسنتهم الصافية، لأنّ المثل كالشعر الذي تسرّب من جرّة العرب إلى أن يكون فنّاً واضحاً من الفنون لكلامهم.

عدم التغيير

قال الزمخشريّ في هذا الموضوع هكذا: «والأمثال يُتكلّم بها كما هي، فليس لك أن تطرح شيئاً من علامات التأنيث في«أطرّي فإنّكِ ناعلة» (سلّام، صفحة 115)، ولا في«رمتني بدائها وانسلّت» (الميداني، صفحة 102/1)، وإن كان المضروب له مذكّراً، ولا يُبدَّل اسم المخاطب من «عقيل» و«عمرو» في«أشئتَ عقيلٌ إلى عقلك؟» (العسكري، صفحة 125/1)، و«هذه بتلك فهل جزيتُكَ يا عمرو؟» (الزمخشري أ.، صفحة 5/1). وقال ابن جنّي (392ه) في بقاء الأمثال على ما هي عليه: «يُؤدَّى ذلك في كلّ موضع على صورته التي أُنشئ في مبدئه عليها». وقال أبو عمرو بن الع لاء (154ه): «والأمثال تُؤدّى على ما فرط به أوّل أحوال وقوعها، كقولهم: «أطرّي إنّكِ ناعلة»، و«الصيف ضيّعتِ اللبن»، وأطرِق كرا»، و«أصبِح نومانُ»، يُؤدّىَ كلّ ذلك في كلّ موضع على صورته التي أنشِئَ في مبدئه عليها». فلأنّ العرب يضعون في هذا الباب المؤّنثَ موضع المذكّر، والمذكّر موضع المؤّنث، فيقولون للرجل: «أطرّي فإنّكِ ناعلة»، و«الصيف ضيّعتِ اللبن»، وإذا أرادوا أن يخبروا بأنّ المرأة كانت تفعل الخير، ثمّ هلكت، فانقطع ما كانت تفعله جاز أن يقولوا: «ذهب الخير مع عمرو بن حُمَمَة» (يعقوب، صفحة 64/1) والسرّ في عدم تغ ي ير المثل أنّه استعارة تمثيليّة، تُستعار فيها للمشبَّه الألفاظُ الموضوعةُ للمشبّه به، فإذا غُيّرت هذه الألفاظ بتغيير المضارب، حتى خرج الأسلوب من حظيرة الاستعارة (يعقوب، صفحة 65/1)، بيد أنّ بعض العلماء أفاد أنّ ظاهرة عدم التغيير في المثل كانت من مبدئ الحكاي ة ، فلذلك يبقى على ما جاء عن العرب، ولا تغيّر صيغته، مثلاً عند ما قلت للرجل «الصيف ضيّعتِ اللبن» تكسر التاء لأنّها حكاية (قطامش، صفحة 204).

ومع ذلك على الرغم من الأقوال التي سردنا هنا عن عدم التغيير في المثل، فمن الممكن أن نغيّر فيه أحياناً، إن سمح لنا فنّه الأدبيّ وعناصره البلاغيّة، نحو: «جاء يَفري ويقُدّ» (العسكري، صفحة 311/1)، يمكننا القول على الصورة «أتى يفري ويقدّ»، و«يعلم من أين يؤكل الكتف» (العسكري، صفحة 422/2)، يجوز أن يورد على الصورة «أعلم من أين يؤكل الكتف» (الميداني، صفحة 42/2)، و«تعلم من أين يؤكل الكتف» (قطامش، صفحة 205)، وأمّا عندما نظرنا إلى الأمثال، فيما يلي «لأطلبنّه من حَسّي وبَسّي»، و«جاء به من حَسِّه وبَسّه»، و«جئ به من حَسّك وبَسّك»، و«ائتِ به من حَسّك وبَسّك» (محمدي، صفحة 7)، و«جِئ به من حيث أيسَ وليسَ»، و«إئتني به من حيث أيسَ وليسَ»، وكذلك قولهم «جيء به من أيس وليس» (محمدي، صفحة 8)، رأينا جواز تغييرها إلى حسب الضمائر الشخصيّة بحيث أنّ الأفعال ترجع من المتكلّم إلى الغائب والمخاطب وطلب الأمر، مع الوفق للأسماء في الأمثال، و«لقيتُه أوّل ذي أثير» (محمدي، صفحة 8) كذلك من الممكن أن نبدّل ضمير المتكلّم إلى الغائب والمخاطب وفقاً للضمائر الأخرى فيه، نحو: «لقيتك أوّل ذي أثير»، و«هو لقيني أوّل ذي أثير»، و«ابدأ بهذا آثِرًا ما» (منظور، صفحة 9/4) يمكننا في هذا المثل كذلك أنّ طلب الأمر نبدّله إخباريّاً، على الصورة «بدأت بهذا آثراً ما»، و«أأجلَبتَ أم أحلَبتَ؟» (منظور، صفحة 269/1) بحذف الاستفهام قد يكون «أجلَبتَ ولا أحلَبتَ»، و«ماله أجلَبَ ولا أحلَبَ» (الزبيدي، صفحة 308/2) من الممكن تبديل الرباعيّ ثلاثيّاً، بحيث سيكون على صورة «ماله لا حَلَبَ ولا جَلَب»، و«إنَّهُ لَفِي غَضراءِ عَيشٍ» (محمدي، صفحة 11)، قد يكون على صورة «هو في غَضراءَ عيش»، ولم تكن فيه نون التوكيد ولام التوكيد، و«أَخَذَ مالَهُ بأَبدَحَ ودُبَيدَحَ»، و«أَكَلَ مالَه بأَبدَحَ ودُبَيدَحَ» (الميداني، صفحة 63/1؛ الزمخشري أ.، صفحة 296/1) وفي هذين المثلين كذلك، يمكننا الرأي أنّ كيف وضع أحد الأفعال إلى موضع الآخر، و«إنَّك خير مِن تَفارِيق العَصا» (محمدي، صفحة 14) قد يقال أيضاً على صورة «أبقى من تفاريق العصا»، و«أخرَج من سِرّ خَميره سِرًّا» يعني أظهر سرّه، تبدّل

الصورة «اجعله في سرّ خميرك» (محمدي، صفحة 24)، و«أحسَنُ مَن دبَّ ودَرَج» (محمدي، صفحة 29)، و«أكذَب مَن دبّ ودرج» (العسكري، صفحة 173/2)، هنا قالَبا «أفعل من» تبادلان مكاناً، وفي المثل«أحمق لا يجأى مَرغ» (لا) النافية حلّت محلّ (ما) النافية كما في الصورة «أحمق ما يجأى مرغه» (محمدي، صفحة 31)، و«أخبرته بشُقوري» (محمدي، صفحة 35)، و«أفضَيت إليه بشقوري» (الميداني، صفحة 71/2)، و«أخبرتُه بعُجَرِي وبُجَري» (الميداني، صفحة 237/1)، و«أشكو إلى الله عُجَرِي وبُجَرِي» قاله عليّ كرّم الله وجهه، و«رماه بجراميزه»، و«رمى فلان الأرض بجراميزه وأرواقه» (منظور، صفحة 319/5)، و«رأيتُه بين سَمع الأرض وبَصَرها، و«هو خرَج بين سمع الأرض وبَصَرها»، و«ألقى نفسه بين سمع الأرض وبصرها»، و«لقيته بين سمع الأرض وبصرها» (سلّام، صفحة 378؛ محمدي، صفحة 39)، و«أدرِكني ولو بأحَد المَغرُوّين» (العسكري، صفحة 328/2)، و«أنزِلني ولو بأحد المَغرُوّين» (الزبيدي، صفحة 158/39)، و«إذا سَقَيتَ فأحنِذ»، و«إذا سَقَيتَه فاحنِذ له» (الزمخشري أ.، صفحة 217/1)، و«حتى يؤوب القارِظانِ»، و«لا آتيك القارظَ العَنَزِيّ»، و«إذا ما القارظُ العَنَزِيُّ آبا» (الأندلسي، صفحة 473)، و«إذا نام ظالِعُ الكِلاب»، و«حتى ينام ظالع الكلاب» (الزبيدي، صفحة 472/21)، و«أرخَيتُ له مِن عِنانه»، و«أرخِ مِن عِنانه»، و«جاء ثانياً من عنانه» (الهاشمي أ.، صفحة 111/1)، و«رضِيتُ مِن الوَفاء باللّفاء»، و«ارضَ مِن الوَفاء باللّفاء»، و«فلان لا يرضى باللّفاء مِن الوفاء» (منظور، صفحة 153/1)، و«ما أصبتُ منه أقَذَّ ولا مَريشًا، و«ما تركتُ له أقذّ ولا مريشًا» (الزمخشري أ.، صفحة 60/2)، و«است أمّك أضيَق»، و«استك أضيَق مِن أن تفعل كذا وكذا»، و«تركته باست الأرض»، و«أنتم أضيَق أَستاهاً مِن أن تفعلوه»، و«است البائن أعلم»، و«است البائن أعرف» (محمدي، صفحة 57)، و«استكرمتَ فاربِط»، و«أكرمتَ فارتبط» (الميداني، صفحة 141/2)، و«استكرمتَ فارتبط»، و«أعيَيتَني مِن شُبّ إلى دُبّ»، و«ما زال على خُلُق واحد مِن شُبّ إلى دُبّ» (محمدي، صفحة 64)، و«رماه الله بثالثة الأثافي»، و«أصبِر على السَواف مِن ثالثة الأثافي»، و«اعمَل في هذا عمل مَن طَبّ لمَن حَبّ»، و«اصنعه صَنعة مَن طَبّ لمن حَبّ»، و«أعطيتُه عَينَ عُنّةَ، و«رأيتُه عَينَ عُنّة»، و«هو مِنّي عَينُ عُنّة»، و«لقيتُه عَين عُنّة»، «أعطاه غَيضاً مِن فَيضٍ»، و«يُنفِقها أحدنا غَيضاً من فَيضٍ»، و«رَدَدتُه بأفوَقَ ناصل»، و«رجع فلان بأفوق ناصل»، و«مَثَلي مَثَل الأرقَم، إن يُقتَل يَنقَم، وإن يُترَك يَلقَم»، مع الجواز على الصورة «مثله مثل الأرقم....»، و«مثلك مثل الأرقم...»، و«لقيتُ منه يوم احلِقي وقُومي»، و«بينهم احلِقي وقُومي» (محمدي، صفحة 129)، و«لأترُكَنّه تَركَ ظَبيٍ ظِلّه»، و«ترَك الظَبي ظِلّه»، و«انتفخ سَحره، ومَساحِره»، و«انتفخ سَحرك» (الزبيدي، صفحة 511/11)، و«طَواه على بُلّته»، و«طوَينا بني بِشر على بَلَلاتِهم»، «ولقد طويتكم على بَلُلاَتِكم»، و«طَوَيتُ السِقاءَ على بُلّتِه» (محمدي، صفحة 133)، و«تركتُه يَفرِي فَريَةً»، وفي الحديث: «فلم أرَ عَبقَرِيًا يَفري فَرِيّه» (الزمخشري أ.، صفحة 632/1)، و«تقلّدها طَوقَ الحمامة»، و«تقلّدتُها طَوقَ الحَمامة» (الزبيدي، صفحة 111/26)، و«رجَع بُخفّي حُنَينٍ»، و«جئتكم بُخفّي حنين» (الأندلسي، صفحة 354)، و«لا يُرمى به الرَجَوان»، و«رُميَ به الرَجَوانِ» (الميداني، صفحة 213/1)، و«كَلّمتُه فَاهُ إلى فيّ»، و«كلّمني فُوه إلى فيّ» (منظور، صفحة 528/13). مَثَل هذه الأمثال كثير جدّا في كتب الأمّهات، ولكن هنا اكتفينا بمقدار هذا، لعدم إطالة الموضوع.

فنظراً إلى الأمثال التي تقدّمت ذكرها يمكننا الوصول إلى بعض النتائج، فهي بالنسبة إلينا إمّا قبلت التدخّل، وإمّا لم تقبل التدخّل، فالأمثال التي قبلت التدخّل سردناها في الأعلى، وأمّا ثانيها، يعني الأمثال التي لم تقبل أيّ تدخّل فهي كالمثل «الصيف ضيّعتِ اللبن»، لأنّ هنا استعارة قوية جدّاً، إلى درجة أنّها لا تأذن أيّ تدخّل لنفسها، فمن الممكن أنّه إن تدخّلنا فهي وقعت في الأذى من التغيير، ومن ثمّ فالأسلوب للمثل خرج من مجالها، مع فقدان المثل كثيراً من قيمته الأدبيّة، واللغويّة، والتاريخيّة، فلذلك يجب علينا أن نحكي المثل إلى الناس بألفاظه التي جاءت في البداية، بحيث أنّها ستبقى على ما وردت عليه أصلاً، دون التغيير فيها.

النتيجة

إنّ المثل من أهمّ ما في تراث اللغة العربيّة من أساليب العرب، لربط ماضي الشعب العربيّ بحاضره، فكلّ مثل مستودع صُبّت فيه ذكريات العرب وقَصصهم عن أجدادهم القُدامى، وهو كذلك مرآة صادقة لحضارة الشعب العربيّ، وعاداته وتقاليده، وهو كذلك مقياسٌ أدَقُّ لفهم العرب، وأخلاقهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وبنيتهم الاجتماعيّة، وللمثل أيضاً وظيفةٌ تربويّة، لِمَا يحتوي عليه مِن حِكَم تعتمد على تجربة الإنسان، ولدَيه عِظةٌ وإرشاد الناس إلى سبيل الرشاد، ومع ذلك تقف أمامنا مسألتان عن الأمثال لم يهتمّ العلماء القدامى بهما كثيراً، لأنّهم كانوا مشغولين بتدوين الأمثال، فالمسألة الأولى أنّ بعض الأمثال كانت تخالف القواعد اللغوية، لأنّ العرب كانوا يحرصون على التوفير له ضروباً من الحِلى اللفظيّة، حتى يكون أوقع في النفس وأخفّ على السمع، فلذلك كانوا يحتاجون أحياناً إلى الخروج عن القياس، ولكن بعض العلماء لم يتّفقوا مع ذلك الرأي، وكانوا يدافعون أنّ اتّباع العرب فيما تكلّمت به على الجِبِلّة والسَليقة أفضل من الانقياد إلى القياس، استشهاداً بالأمثال التي خالفت القياس على المفردات الغريبة والتعبيرات، مع تأويلها وتقديرها إلى الجمل

التي تناسب القياس، فلذلك التضحية بالمثل للقياس تماماً، عند رأينا ليس سلوكاً منصفاً، لأنّ المثل هو ما تكلّمت به العرب على ألسنتهم الصافية، ومع ذلك المثل كالشعر الذي تسرّب من جرّة العرب إلى أن يكون فنّاً واضحاً من الفنون لكلامهم.

وأمّا ظاهرة عدم التغيير في المثل فمن الممكن أن نغيّر فيه أحياناً، إن سمح لنا فنّه الأدبيّ وعناصره البلاغيّة، وبالنسبة لنا جاز انقسام المثل إلى القسمين، إمّا أن يمكنه قبول التدخّل، وإمّا أن يكون التدخّل غير ممكن أبداً، وفي القسم الأوّل عندما نظرنا إلى بعض الأمثال رأينا جواز تغييرها إلى حسب الضمائر الشخصيّة بحيث أنّ الأفعال ترجع من المتكلّم إلى الغائب والمخاطب، ومن الإخبار إلى طلب الأمر، مع الوفق للأسماء في الأمثال، وبالاستفهام، وبحذفه، وتبديل الرباعيّ ثلاثيّاً، وبالعكس، وفيه نون التوكيد ولام التوكيد، ولم تكن فيه نون التوكيد ولام التوكيد، و(لا) النافية حلّت محلّ (ما) النافية، وهلمّ جرّاً، إذ هذا الموقف مرتبط بقوى المثل من جهة الاستعارة، إن كانت فيه الاستعارة ضعيفاً يمكننا أن نغيّره إلى حسب الأحوال والأشخاص، وأمّا القسم الثاني، يعني الأمثال التي لم تقبل أيّ تدخّل فهي كالمثل «تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه»، لأنّ هنا استعارة قويّة جدّاً، إلى درجة أنّها لا تأذن أيّ تدخّل لنفسها، فمن الممكن أنّه إن تدخّلنا وقعت في الأذى من التغيير، ومن ثمّ فالأسلوب للمثل خرج من مجال الاستعارة، مع فقدان المثل كثيراً من قيمته الأدبيّة، واللغويّة، والتاريخيّة، فلذلك يجب علينا أن نحكي المثل إلى الناس بألفاظه التي جاءت في البداية، بحيث أنّها ستبقى على ما وردت عليه أصلاً، دون التغيير فيها.

المراجع

أبو الخير الهاشمي. (1423). *الأمثال*. دمشق: دار سعد الدين.
أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني. (بلا تاريخ). *مجمع الأمثال*. بيروت: دار المعرفة.
أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. (1414). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
أبو الفيض المرتضى الزبيدي. (بلا تاريخ). *تاج العروس من جواهر القاموس*. دار الهداية.
أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري. (1419). *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.
أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري. (1987). *المستقصى في أمثال العرب*. بيروت: دار الكتب العلمية.
أبو عبيد القاسم بن سلّام. (1400). *الأمثال*. دار المأمون للتراث.
أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن البكري الأندلسي. (1971). *فصل المقال في شرح كتاب الأمثال*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري. (بلا تاريخ). *جمهرة الأمثال*. بيروت: دار الفكر.
أحمد الهاشمي. (1999). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. بيروت: المكتبة المصرية.
إميل بديع يعقوب. (1415). *موسوعة أمثال العرب*. بيروت: دار الجيل.

حسين بن محمد المهدي. (2009). *صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال*. وزارة الثقافة بدار الكتاب.
خير الدين محمود بن محمود علي بن فارس الزركلي. (2002). *الأعلام*. دار العلم للملايين.
سيبويه. (1408). *الكتاب* (المجلد 3). (عبد السلام هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
عبد المجيد قطامش. (1408). *الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية* (المجلد 1). دمشق: دار الفكر.
محمد بن العبّاس الخوارزمي. (1424). *الأمثال المولّدة*. أبو ظبي: المجمع الثقافي.
محمد على محمدي. (2021). *أمثال تاج العروس من جواهر القاموس*. أنقرة: Iksad.

Extended Abstract

The Issue of Contrary to the Grammatical Structure of Arabic Proverbs and the Principle of their Immutability

The proverb that connects the past of the Arab people with the present is the one of the most important things in the heritage of the Arabic language. Each one is like a repository of Arab memories and stories about their ancient ancestors. It is a true mirror of the civilization, customs and traditions of the Arab people. It is also a more accurate measure of understanding the Arab people, morality, customs, traditions and social structure. The proverbs also have an educational function due to the wisdom based on human experience, and it guides people to the path of guidance.

Two questions remain, however, concerning proverbs to which the ancient scholars hardly heeded. One of them is some proverbs are against the language rules because the Arabs were eager to say artistic words so sometimes they had to break rules so they spoke according to their own taste. However, some scholars didn't agree with this view it was impossible for them to say the Arabs wrong words for this reason, they held the view that following the Arabs was better than surrendering to the rules. As for the fact that the proverbs does not change, in our opinion it is sometimes possible to change it. If the elements of literary art and eloquence permit, It is permissible to divide the proverb into two. When we examine some proverbs we see that it is possible to make some changes on them. This situation is related to the power of the proverb in terms of metaphor. Because if the metaphor is weak, we can make some changes to the proverb some proverbs do not accept any intervention because they there is a very strong metaphor Because he doesn't allow any intervention may suffer from this change Therefore, the style of the proverb is distorted and transformed into something else. In this article, first of all, general information about proverbs is given about its importance and emerging style. It has been mentioned which sentence patterns the proverbs contain and the metaphors and rhetoric they contain.

The conclusion we want to reach on these two issues that we focus on is as follows: Proverbs are not against the rules of language. The sentences that the Arabs say for their own pleasure take precedence over the language rules. In fact, the words of the Arabs were taken as a measure while the language rules were being formed. As a matter of fact, some scholars have proven that these words are not against the rules of language and reveal the true meaning of the words. Because these words are metaphorical words and contain deep meanings. Expressions that actually stand out as against the rules of language are not really against the rules of language. If you can get to the truth by going deep into the metaphor, the problem is solved. This shows us that we should do more detailed studies on the language rules and decipher the meaning of the Arabs. It is possible to change the structure of proverbs only under the following conditions: It is possible to make changes if it does not contain a strong metaphor and its rhetoric is not strong enough, and still contains some non-strong idioms.

Keywords: Arabic proverb, origin of the proverb, proverb style, proverb arts, violation of the measure